



الخطاب الإثهاري

عبدالقادر سلامي

الجزائر

الخطاب الإشهاري

عبدالقادر سلامي - الجزائر

الملخص: لئن ارتبط الإشهار بمعنى والإعلان والإفصاح من حيث صار معلوما لدى عامة الناس، فإنّ الإشهار يختلف عن الإعلام شكلا و مضمونا، فهو أقرب من المحامي أو رجل القانون من الصحفي حيث إنه لا يراعي الموضوعية طالما همه الوحيد هو إيجاد السبيل الكفيلة لجعل الناس يبدون استجابة كبيرة، فهو يعمل على التأثير في مواقفهم سلوكياتهم بنقلهم أفكاراً وعبارات مختارة معبرة وجذابة.

ولئن كانت تهتم التداولية بدراسة المعنى كما هو موصل من المتكلم أو الكاتب، ويفسر من قبل السامع أو القارئ وكننتيجة؛ فإن التداولية تعمل أكثر على تحليل ماذا يريد الناس بخطبهم عوض كلماتهم أو عباراتهم، فهي إذن دراسة معنى المتكلم. فهي بعبارة أدقّ دراسة الأشياء المراد بها التواصل عوض الأشياء المنطوقة. فهذه النظرة إذا تطرح التساؤل عن: ما هو الشيء الذي يحدد الاختيار بين الكلام المنطوق وغير المنطوق؟

وتسعى الدراسة التالية إلى الوقوف على أنموذج مما أقرّه مجمع اللغة العربية مقابلاً موضوعياً لممارسة متداولة، وقسيمة بين مختلف شعوب المعمورة ممثلاً في لفظ "التدخين" والمصطلح العربي "كمّي" (وهو ما تتكره الخاصة على العامة وليس بمنكر) أدلّ - في رأينا - على تلك الممارسة الضارة بمتعاطيها المباشر والسلبى، وإن انزوى اللفظ الدالّ في ركن ركين من المعجم العربي، الأمر الذي لا يلغي أهمية النقل أو والترجمة المعتمدين على المجاز من حيث المبدأ في شيء.

الكلمات المفتاحية: الإشهار، الخطاب، السيميائية، النفعية، اللغة، التواصل.

Discourse of Advertisement Discourse

Abdelkader Sellami

University of Tlemcen –Algeria

Email: skaderaminaanes@gmail.com

Received: 16 Sep. 2013; Revised: 9 Oct.-20 Nov. 2013; Accepted: 20 Dec. 2013

Published online: 1 Jan 2014

Abstract: This paper is an attempt to highlight the question of advertising as a process through which the advertiser displays the target item in a convincing way. This technique of persuading demands highly charismatic expressions in order to attract the addressee. This could not be realized unless an emphasis of pragmatics is stressed. To do so, a question is asked as such: what is the parameter that determines the choice between verbal and non-verbal language?

Hence, to provide a reliable answer to this fact, a model is provided in standard Arabic language. It illustrates the term “smoking” since it is widely used. However, advertisers show its bad sides differently and most of the time metaphorically.

Keywords: Discourse, advertisement, semantics, pragmatics, standard Arabic language.

.

الخطاب الإشهاري

عبدالقادر سلامي - الجزائر

مقدمة البحث:

لئن ارتبط الإشهار بمعنى الإعلان والإفصاح من حيث صار معلوما لدى عامة الناس، فإنّ الإشهار يختلف عن الإعلام شكلا ومضمونا فهو أقرب من المحامي أو رجل القانون من الصحفي حيث أنه لا يراعي الموضوعية طالما همه الوحيد هو إيجاد السبيل الكفيلة لجعل الناس يبدون استجابة كبيرة، فهو يعمل على التأثير في مواقفهم وسلوكاتهم بنقلهم أفكاراً وعبارات مختارة معبرة وجذابة.

ولئن كانت تهتم التداولية بدراسة المعنى كما هو موصل من المتكلم أو الكاتب ويفسر من قبل السامع أو القارئ. وكننتيجة، فإن التداولية تعمل أكثر على تحليل ماذا يريد الناس بخطبهم عوض كلماتهم أو عباراتهم، فهي إذن دراسة معنى المتكلم. فهي بعبارة أدقّ دراسة الأشياء المراد بها التواصل عوض الأشياء المنطوقة. فهذه النظرة إذا تطرح التساؤل عن ما هو الشيء الذي يحدد الاختيار بين الكلام المنطوق وغير المنطوق؟

وتسعى الدراسة التالية إلى الوقوف على أنموذج مما أقرّه مجمع اللغة العربية مقابلاً موضوعياً لممارسة متداولة وقسيمة بين مختلف شعوب المعمورة ممثلاً في لفظ "التدخين" والمصطلح العربي "كمّي" (وهو ما تنكره الخاصّة على العامّة وليس بمنكر) أدلّ - في رأينا -

على تلك الممارسة الضّارة بمنعاطيها المباشر والسّلبي، وإنّ انزوى اللفظ الدّالّ في رُكن ركين من المعجم العربي، الأمر الذي لا يلغي أهمية النّقل أو والترجمة المعتمدين على المجاز من حيث المبدأ في شيء.

أولاً- بين الإشهار والدلالة والتداولية:

1- تعريف الإشهار:

الإشهار من أشهر الشيء: بمعنى أعلنه وأفصح عنه وصار معلوماً لدى عامّة الناس.⁽¹⁾ وعرف هذا المصطلح العديد من التعريفات الأخرى التي عرفت بدورها تطوّرات عديدة مع مرور السنين. فمنذ سنة 1830م بدأ الإشهار يأخذ منظوراً جديداً وخاصة من إشهاريين رواد في عالم التسويق والدعاية، نذكر من بينهم الإشهاري الفرنسي الكبير أرماند سلاكرو (A. Slakro) والذي أجمل تعريفه للإشهار بقوله: "إنه يعدّ بمثابة تقنية تسهل عملية نشر الأفكار من جهة جملة العلاقات التي يمكن أن تُبرم بين أشخاص على الصعيد الاقتصادي في الترويج لسلعهم وخدماتهم من جهة أخرى".⁽²⁾

بيد أن الإشهار يختلف عن الإعلام شكلاً ومضموناً فهو أقرب من المحامي أو رجل القانون من الصحفي، حيث إنه لا يراعي

¹ ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 68/2، مادة (الشهرة) وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 222/3، مادة (شهر).

² B. Brochand et J. Lendrevie: Le Publicitor, p:4-5

العناصر اللغوية قابلية للتغير والتغيير في اللغات الإنسانية⁽⁶⁾، وتعبّر كل نظرية فيه عن هذا المضمون في زاوية مناسبة. فالذين يعنون بالجوانب النظرية فيه يضمنونه نظرية المعنى والعلاقة بين اللفظ والمعنى والادل والمدلول والرمز والشئ، والذين يعنون بجوانبه التطبيقية الحديثة يلمون فيه بعناصر التطور.⁽⁷⁾ فهو بذلك يدرس ذلك دراسة شكلية صورية بغض النظر عن السياقات التي تحفّ الكلام؛ لذا أطلق علماء أصول الفقه على هذه المباحث علم الوضع اللغوي⁽⁸⁾، وذلك في مقابل علم الاستعمال اللغوي، الذي يدرس اللغة في حيز الاستعمال اللغوي، وقريب منه تقسيم دو سوسير (De Saussure) للسان والكلام.

3- التداولية وأنواعها:

تعدّ التداولية فرعاً من اللسانيات الذي تطوّر في أواخر السبعينيات. إنّه العلم الذي يدرس كيف يمكن للبشر استنتاج أيّ رسالة كلامية في حالتها الطبيعية في إطار التحوار الفعلي وفهمها، وعلى ضوءه نميز بين معنيين أثناء التخاطب: الأول متعلّق بالجملة المنطوقة، والثاني يعنى ببنية المتكلم الخفية، وهو مذهب لينش Leech (1983م)، وويلسون Wilson (1986م).

وحسب برجيت كاسبير، (Birgit Kasper, 1997): إنّه البحث في التاويلات التي يوظفها السامع للتوصل إلى تفسير ما عناه المتكلم. إن هذا النوع من الدارسة يبحث في العدد الكبير من الجمل التي لم تقلّ وتعدّ قسماً من التواصل، وبالتالي هو البحث في المعنى الخفي.

وتهتمّ التداولية بدراسة المعنى كما هو موصل من المتكلم أو الكاتب ومفسّر من قبل السامع أو القارئ. وكنتيجة، فإنّ التداولية تعمل أكثر على تحليل ماذا يريد الناس بخطبهم عوض

الموضوعية طالما أنّ همّه الوحيد هو إيجاد السبل الكفيلة لجعل الناس يبدون استجابة كبيرة، فهو يعمل على التأثير في مواقفهم وسلوكاتهم بنقلهم أفكاراً وعبارات مختارة معبرة وجذابة.

والإشهار متنوع الأشكال والأهداف، فقد يتمّ توجيهه إلى فرد أو جماعة أو أمة، وقد يكون علمياً أو ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً، وقد يكون مسموعاً أو مكتوباً أو سمعياً بصرياً. إنّه كما يقال: (فنّ مركّب يضع العالم بين يديك).

هذا، ويوجد النصّ الإشهاري في المغرب العربي عموماً في شكل الازدواجية اللغوية على مستويين أعلى وأدنى، كما يوجد في شكل الثنائية اللغوية عربي - فرنسي، وإن كان بحكم التطور القائم عبر العولمة يُلاحظ أن اللغة الإنجليزية أصبحت تطفو على الساحة شيئاً فشيئاً بوصفها المحرك الأساس لآليات الميدان التجاري بين الدول، إلّا أنّ تأثيرها واستعمالها في الخطاب الإشهاري المغربي ليس ذا بال.

2- علم الدلالة:

تولت الأطروحات التي حاولت الكشف عن قضية المعنى وحيثياته، وتواردت عليه النظريات الدلالية محاولة رسم منهج الوصول إليه، فكان علم الدلالة من أهمها، ثم طرحت الكثير من النظريات اللسانية منهجها في تفسير النصوص، وبيان معانيها.

وتجمع تعريفات علم الدلالة على أنه: "علم لغوي حديث، يبحث في الدلالة اللغوية، والتي يلتزم فيها حدود النظام اللغوي والعلامات اللغوية، دون سواها"⁽³⁾ وأنّ مجاله دراسة المعنى اللغوي على صعيد المفردات والتراكيب⁽⁴⁾، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة دلالات الألفاظ وتطورها⁽⁵⁾، لكونها أكثر

³ Georges Mounin: Clefs pour la Sémantique, pp8, 11

وعدنان دليل: اللغة والدلالة، آراء ونظريات، ص50.

⁴ ينظر: محمود السمران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص261،

محمد حسين آل ياسين: والدراسات اللغوية عند العرب، ص437.

⁵ أحمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص279 ومحمود عمر خيتي: التطور

الدلالي في الشعر العربي حديثه ومعاصره، ص12.

⁶ فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص178.

⁷ محمود عمر خيتي: التطور الدلالي في الشعر العربي حديثه ومعاصره،

ص12.

⁸ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص14.

لقد ميّز الفيلسوف الأميركي شارلز موريس (Charles Morris) منذ سنة 1938م، في مقال كتبه في إحدى الموسوعات العلمية، بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة، وهي: علم التركيب (وبالإجمال فهو النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات)، وعلم الدلالة (الذي هو مدار الدلالة التي تتحدّد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدلّ عليه)، وأخيراً التداولية التي تُعنى - في رأي موريس (Morris) - بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها. على أنّ غاية ما ألقاه جون أوستين (J. Austin) من "محاضرات وليام جيمس" (William James) عام 1955م، هو وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو أساس مفاده: أنّ اللغة تهدف خاصّة إلى وصف الواقع، فكلّ الجمل (عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية)^(*) يمكن الحكم عليها بأنّها صادقة أو كاذبة. فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقّق فعلاً في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك. وقد أطلق أوستين (Austin) على هذه الفرضية المتعلقة بالطابع الوصفي للجمل تسمية موحية هي: "الإيهام الوصفي"، وأفرد لها "محاضرات وليام جيمس" (William James) لمناقشتها ورفضها.⁽¹¹⁾

ثم تبلورت هذه النظرية اللسانية، ورسمت منهجها الخاص، وحدودها المميّزة لها كنظرية مستقلة لها وجودها المستقل عن أسسها الفلسفية والقانونية، فقام هذا المنهج على العديد من المقولات والنظريات التي تطوّرت حول المعنى التداولي.⁽¹²⁾

هذا، وتتقسم التداولية إلى نوعين هامين هما:⁽¹³⁾

كلماتهم أو عباراتهم، فهي إذن دراسة معنى المتكلم.

إنّ هذا النوع من الدراسة يشمل تفسير معنى الأشخاص في سياق ما، وكيف يؤثر هذا الأخير على المقال، يتطلب العناية بكيفية تنظيم ما ينبغي أن يقال طبقاً لنوعية السامع والمكان والزمان والظروف. وعلى هذا، فإنّ التداولية هي: دراسة الأشياء المراد بها التواصل عوض الأشياء المنطوقة. فهذه النظرة إذا تطرّحت التساؤل عن ما هو الشيء الذي يحدد الاختيار بين الكلام المنطوق وغير المنطوق؟⁽⁹⁾

هذا، ومن مهامّ علم استعمال اللغة أو التداولية (أو التخاطبية) أن يدرس اللغة في حيّز الاستعمال متجاوزاً حدود الوضع الأصلي وإن كان يبيّن عليه؛ وذلك لأنّ مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلاّ من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدّد تجددّ مقاصد المتكلمين، من حيث يستند فيه المتخاطبون إلى الوضع اللغوي، ويتجاوزونه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم الدلالية؛ لذا، "ينبغي عدم خلطها بالثغرية (Pragmatisme)⁽⁹⁾، ذلك التيار الفلسفي الأميركي الذي يمثّله أساساً الأميركيون: وليام جيمس (William James) وجون ديوي (John Dewey) أو ريتشارد رورتي (Richards Rotti) قبل أن تظهر بمدة دراسات في هذا المجال"⁽¹⁰⁾ وهو مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياساً للحقيقة، معتبراً أنّ الحقيقة المطلقة غير موجودة وأنه لا شيء حقيقياً إلاّ كلّ ما ينجح. وقد صاغ هذا المذهب بيرس (Pierce) عام 1879م، وطوّره كلّ من جيمس (James) وديوي، وكان ما يزال مذهباً ذائع الصيت في الولايات المتحدة الأميركية.

* لا يصدق هذا الاستثناء على اللغة العربية حيث يتسع المجال فيها إلى ضروب أخرى من الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، من نحو النداء والقسم، وغيرهما.

¹¹ أن رويول و جاك موشلار: التداولية اليوم-علم جديد في التواصل، ص 29-30.

¹² المصدر السابق: ص 31 وما بعدها.

¹³ ينظر: محمد محمد بونس علي: مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 13-14 وعلم التخاطب الإسلامي، ص 44، 64، وفرانسوا أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 8.

⁹ George yule: Pragmatics, p4

* النفعية: Pragmatisme: مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياساً للحقيقة، معتبراً أنّ الحقيقة المطلقة غير موجودة وأنه لا شيء حقيقياً إلاّ كلّ ما ينجح. وقد صاغ هذا المذهب بيرس عام 1879م، وطوّره كلّ من جيمس وديوي، وكان لا يزال مذهباً ذائع الصيت في الولايات المتحدة الأميركية.

¹⁰ أن رويول و جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 28-29.

وتهدف الدراسة الموالية إلى استنتاج نموذج إشهاري سارٍ على الأسنة ويعكس ممارسة مجتمعية سلبية (التدخين مُضراً بالصحة) بين الدلالي والمتداول في محاولة البحث عن جملة العناصر التي تجعل من الإشهار خطاباً سيمائياً وتداولياً بالنظر إلى صورته الثابتة والمتحركة، بما تحمله من كفاءة على التبليغ وقوة التواصل والوقوف على مكامن التأثير على المتلقي؛ ذلك لأنّ الإشهار: فنّ إعلامي يستند إلى مؤشرات منطوقة أو مكتوبة أو مرئية ذات بنية لغوية ومضمون وطباعة وصورة، يؤسس لعلاقة وتعارف بين المخاطب والمتلقي أو المنتج والمستهلك؛ لذا يتوخى منه أن تكون أفكاره واصفة، ودلالته هادفة ومتداولة.

• التدخين أم الكمي أو الكميان مضر بالصحة:

يعدّ أسلوب الترجمة بالتكافؤ القائم على المساواة وقياس التّظير على التّظير أحد أهمّ الأساليب العملية الحديثة المقترحة في التقسيم السباعي⁽¹⁵⁾ لأول محاولة منظمة في تحديد آليات

أ-التداولية العامة: وهي التي تعنى بدراسة المبادئ الضابطة للاستعمال اللغوي أثناء المحادثات.

ب-التداولية التطبيقية: وهي التي تهتم بدراسة الفعل الكلامي في العديد من المجالات، نحو: طلب التأشير في القنصلية أو الاستشارات الطبية أو المرافعات القضائية أو تحقيقات رجال النيابة. لنأخذ المثال الموالي: يقول المحقق للمتهم: "من أين اشتريت الكوكابين؟" فهذا مجرد سؤال، والغرض منه نصب كمين للمتهم واستنطاقه، فإذا أجاب بنعم، فهو بذلك يؤكد إجرامه، وإذا أجاب بلا، فسوف تظهر عليه بعض الملامح التي توحى بالإجابة.

على أن ما تجدر الإشارة إليه إلى أنّ الدراسات التداولية مازالت تتلمس طريقها إلى الاكتمال مما يجعل تقديم حصيلته حقيقية عنها أمراً مُكبراً جداً.⁽¹⁴⁾ ومع ذلك، فإننا سنحاول رسم حدود فاصلة بينها وبين الدلالة.

ثانياً- المبدأ التداولي في الإشهار:

يعدّ الخطاب الإشهاري في عصرنا هذا صناعة إعلامية وثقافية بشكل لا مرأى فيه؛ ولذلك فهو يحظى باهتمام كبير في مختلف المجتمعات، وخصوصاً المتطورة منها، لما يتميز به من قدرة عالية على بلورة الرأي العام وتشكيل الوعي الفردي والجماعي، وفي التأثير على الثقافة في أبعادها الأخلاقية والفلسفية.

ولا شكّ في أنّ الخطاب الإشهاري يعدّ من الخطابات التي تندرج في إطار الممارسة الثقافية، كالخطاب الأدبي أو السينمائي أو البصري. فهو يؤثّر فضاءات اليوميّ ويستهلك إلى جانب الخطابات الأخرى، كما يكتسي طابعاً ثقافياً يتمثل في مكوناته اللغوية والسيميائية والتداولية، بالإضافة إلى بُعده الاقتصادي والاجتماعي المرتبطين بالدعاية التجارية.

¹⁵ وهي على الترتيب التالي:
1- الإقراض أو الاستعارة اللغوية (L'emprunt): وهو من أساليب الترجمة. وهو حل مینوس منه، يعكس حالة من الإفتقار إلى المقابل يلجأ إليه المترجم عندما تعوزه المصطلحات خاصة إذا كانت تتعلق بشيء لا وجود له في ثقافة اللغة المنشودة أو المستهدفة لكلمة أو مصطلح في اللغة المُن، مع احتمال تفسير الكلمة بالسياق أو عن طريق ملحوظة. وهكذا يدخل حشمتين الكلمات اللغة المقترضة من نحو كلمتي "merguez" (سجق) و"déctive" (مُخبر أو مُفتش شرطة) التي دخلت الفرنسية في غفلة من امرها. ينظر: جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص 69 و إتمام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص 58. وهو مالم تكن العربية منه بخلاء فقد امتازت برحابة صدر مدهشة في تبني المصطلحات الدخيلة من اللغات الأجنبية وسمحت (وما زالت) بإدخال الكثير من الكلمات والتعابير التي لم يكن للعرب الأوائل عهد بها من حيث وضعت لهذا "اللفظ الأعجمي الذي استعملته العرب على وضعه العجمي في محاوراتها" مقابيس عشرة يعرف بها من الأصل في لغة العرب، وإن سلكت مسلك "التعريب" بشأن الكثير منها، فاستعملت إزاءه ألفاظاً موضوعة لمعان في غير لغتها، أو "تفوّت به على منهاجها). ينظر: السبوتي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 294-268/1 والجواليقي أبو منصور: المعرب من الكلام الأعجمي، ص 53-60 والسيد يعقوب بكر: نصوص في فقه اللغة العربية، ص 60-102 وإبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية، ص 280.

2- المحاكاة اللغوية (Calque le): وتتركز في ترجمة الشكل الأجنبي، وهي نوع من الإقراض المفضي إلى: محاكاة بنبوية (calque de structure)، نحو: science-fiction بالإنجليزية والفرنسية في مقابل "علم الخيال" في العربية أو محاكاة تعبيرية (calque d'expression)، نحو: "to throw dust in the eye" أي "نثر الرماد في العينين". ينظر: جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص 69 وإتمام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص 65.

3- الترجمة الحرفية (mot a mot) أو (traduction littérale): وهي الحالة النموذجية للحصول على نصّ صحيح من الناحيتين التركيبية والدلالية، ولكنها قليلة الشبوع، حتى بالنسبة للغات المتقاربة. ومثالها من الإيطالية:

"L'opinione publica non crede que l'invasori possana triompher".

يقابله بالفرنسية:

"L'opinion publique ne croit pas que les envahisseurs puissent triompher."

والمعنى بالعربية: "لا يعتقد الرأي العام أنّ الغزاة يستطيعون الانتصار". ينظر: جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص 70.

¹⁴ فرناند هالين: التداولية ترجمة وُبا محمد، مجلة فكر ونقد، العدد 24، ص 21.

الحطب أو التبغ، أو غيرهما. (18)

أما ما يقابل الاسم والفعل في حاضر لغة العرب، فالسائد منه هو الدُخَانُ: "يتصاعدُ عن النَّارِ من دقائِقِ الوَقودِ غيرِ المحترقةِ وبمعنى "التَّبغِ"، و"التدخين" تفعيل لذلك؛ وعلى هذا فـ "دَحَّنَ التَّبغَ": أَحرقَهُ متعاطياً إِيَّاهُ و"دَحَّنَ على الشَّجَرِ أو على النَّوْبِ: طَهَّرَهُ بِبَحْورٍ خاصٍّ ليقْتُلَ ما به من الآفات". وهو مما أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (19)

فعلَى أيِّ أساسٍ تمَّ له ذلك؟ ونحن نعلم أن القياس يستلزم وجود لغة حديثة مقيسة على لغة قديمة من باب موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال أو معنى بمعنى؛ (20) قياس لا يتم إلا بطريقة منطقية كونه يساعدنا على صياغة ألفاظ جديدة واشتقاقات قد تكون شائعة في اللغة القديمة، وقد تكون نادرة فيها أو قد تكون غير موجودة إطلاقاً، فما بالك والمعاني بعد ليست قائمة إلا على سبيل التوهّم؟ والإنسان لا يقوم مقام النَّارِ بأيِّ حال من الأحوال، ممَّا يدلُّ على أنَّ العملية التواصليّة قد تقشَلُ في حال ما إذا أخطأ المتكلم أو المشهَرُ في استخدام الرسالة الصحيحة بمكوّناتها اللغوية، للتعبير عن حالته الشعورية. (21) ففي المعجم العربي ما يدلُّ على أنَّ الدُخَانُ: "ما يكون عن الوَقُودِ يُقالُ: دَحَّنَتِ النَّارُ تدَحْنُ ودَحْنَتْ وأدَحْنَتْ: إذا ارتفع دُخَانُها، ودَحْنَتْ تدَحْنُ: إذا ألقى عليها حَطَبٌ فأفسدت حتى يهبج لذلك دُخَانٌ. ويُقالُ دَحَّنَ الغُبارُ: ارتفع. والدُخْنَةُ من الألوان: كُدْرَةٌ في سواد. والدُخْنَةُ: بَحُورٌ يدَحْنُ به النَّبْتُ." (22)

فالدخان يكون عن نار وقودها الحطب أو البخور أو التبغ الذي يستحيل، على اعتبار ما سيؤول إليه، دُخَانًا يُكْمَى (يُسْتَرَّ) في الصدر وما

الترجمة بين اللغات وفق أسس علمية مقارنة، (16) بما يحقّق التعبير عن الوضعية نفسها التي يتضمنها اللفظ أو النصّ في اللغة المتن باستعمال وسائل أسلوبية وبنوية مختلفة تتيحها اللغة المستهدفة، وهو ما يعرف بمبدأ التكافؤ بين الأصل والترجمة، والذي ينقل المصطلح عبر مراحل تطوّره من التشخيص إلى التجريد الاصطلاحي. (17)

على أنّ في سوقنا للمثال الموالي ما يمهّد للقول: إنّ التكافؤ ليس مجرد تكافؤ في الوضعية وطريقة التعبير عنها، بل إنّه أيضاً تكافؤ في الإيحاءات بين الأصل والترجمة، بما يكفل للمصطلح الدقّة والإيجاز، والصحة اللغوية، ويضمن له التداول والانتشار، فقد ارتبطت الكلمة الفرنسية (fumer) بمعانٍ منها: تخصيب الأرض الفلاحية بالسماذ قصد تحسين مردودها، وتناثر الدُخَان (lafumée) في الهواء نتيجة احتراق

4- الإبدال أو الاستبدال أو النقل (Transposition): ويتمُّ باستبدال جزء من الخطاب بجزء آخر، دون أن يغيّر ذلك من معنى الرسالة ومثاله من الفرنسية: "L'art de la traduction" (فن الترجمة) يقابله في الإنجليزية "The science of translating" (علم الترجمة) فقد استخدمت الإنجليزية صيغة فعلية مصدرية بدلاً من الاسم الفرنسي "traduction". (ينظر: المرجع السابق، ص70). علماً بأنّ هذا الأسلوب من الإبدال يمكن أن يطبق داخل لغة بعينها، على نحو ما نجده في العربية من عبارات مثل: "أمزّت أن ينصرف في الحال" التي تؤوّل بفعل الإبدال إلى "أمزته بالانصراف حالاً"، وهي جملة ناتجة عن إبدال عبارة "لأن ينصرف إلى مصدر" الانصراف، ونزع الخافض في عبارة "في الحال" لتصبح اسماً منصوباً "حالاً". ينظر: إنعام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص80.

5- التطويع أو التعديل (La modulation): وهي الطريقة المقترحة للتعبير عن الحقيقة غير اللغوية من وجهة نظر تعين بمقتضاها جملة من التلويحات التي تتيح ضرورة عندما لا يتمّ الانتقال من اللغة المتن إلى اللغة الهدف بصفة مباشرة ولبية تعزير في وجهة النظر أو اتجاه تسليط الضوء ففي مقابل قولنا في الإنجليزية: "do not enter" (الدخول ممنوع)، نجد عبارة "sens interdit" الفرنسية (ممنوع السير في هذا الاتجاه) ينظر: وجورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص 70 وإنعام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص85.

6- المساواة أو القياس على النظرير (Equivalence): (موضوع دراستنا) ويقوم على وصف مضمون الحقيقة غير اللغوية نفسها دون اللجوء إلى قياسات لغوية فالعبارة الإنجليزية "a far-fetched hypothesis" تساوي بالفرنسية "une hypothese tirée par les cheveux"، ومعناها بالعربية (افتراض متكلف فيه). ينظر: المرجعان السابقان، ص70 وص105.

7- التكافؤ أو الاقتباس أو التصرف (L'adaptation) (موضوع دراستنا) ويمثّل الحد الأقصى للترجمة، وهو ينطبق على حالات يعبر فيها عن موقف أصلي غير معروف في اللغة الهدف أو اللغة المنشودة وذلك بالرجوع إلى موقف مشابه أي أنّ التكافؤ في هذه الحالة هو تكافؤ في الوضعيات وليس في المعاني أو في التركيب؛ لأنّ هناك بعض المعطيات الثقافية في اللغة المتن يصعب نقلها بحذافيرها إلى اللغة الهدف، وذلك إما بسبب عدم وجودها إطلاقاً في ثقافة اللغة المنقول إليها أو لمتافاتها أداب متكلمي هذه اللغة وأعرافهم فالجملة الروسية التي تعني "مجنون مثل مارتنينوف: Martinov (وهو شخصية في رواية شهيرة) يقابلها في الفرنسية "fou a lier" (أي: قتل ابنته على قفصها)، تنطوي على كثير من المحرّمات في ثقافة المتكلمين بلغة الضاد، ولها إيحاءات إيحابية تنطوي على فسق فاضح، إن لم تلازمه، في حين أنّ الترجمة المتصرف بها لهذه الجملة، يمكن أن تؤوّل إلى: "طبع قبلة على جبين ابنته". ينظر: المرجعان السابقان، ص70 وص124.

16 ينظر: Wills, w., the science of translation problems and methods, p96, and جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص69، ص77.

17 ينظر: عمر أوكان: اللغة والخطاب، ص64-64.

18 Le Petit Larousse, p 456.

19 إبراهيم أنيس وآخرين: المعجم الوسيط، 276/1، مادة (دخن).

20 ينظر: ابن جني: الخصائص، 358/1 والسيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، ص96، وابن هشام: شرح حمل الزجاجي، ص355.

21 ج. ل. أوستين: أفعال الكلام العامة، ص134.

22 ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 336/2، مادة (دخن) والفيروز آبادي: القاموس المحيط، 223/4، مادة (الدخن).

انحسر مداها في الدلالة على كتمان السرّ والشهادة الذي كانت تضطلع به جنباً إلى جنب مع مادة "كتم" (26)، فما أوجنا اليوم إلى دلالتها المحسوسة التي انزوت في ركنٍ صغيرٍ من أركان الدلالة الأصلية، وعثرنا عليها في بعض النصوص القديمة في صورة اللفظ نفسه أو بعض مشتقاته، وارتكنا فيه أساساً على مبدأ التوسع في قبول ما نطق به العامة، وكان جارياً على لهجة عربية معروفة، (27) تتصل بالفصحى بأكثر من سبب. فهي صادقة بحكم الوضع الذي تصفه صدقَ جملة" (تكتبُ أن وجاهك كتاب التداوية اليوم) بما أنه في الوقت الذي نكتب فيه هذه الفقر، فإننا بصدد تأليف الكتاب المعني الذي ستقرأونه خلال بضعة أشهر. (28) كما أنها تنتظر الإقرار الطوعي من المجتمع العربي في مشرقه بعد أن لقيته في مغربه، وكيف لا يصير ذلك الدأب والديّن:

- 1- ما دامت تعمل الدراسات التواصلية في وقت على تعميق فهم النشاط الإنساني ضمن محيطه المعرفي، من حيث تدرج التصورات النظرية الواصفة للعملية التواصلية في إطار تحليل مجالات التفاعل بين المتواصلين، كما أنها تسعى لضمّ الأفعال التواصلية إلى مجال دراستها (29)، إذ لم يعد من المُجدي عدّ اللغات الطبيعية أنساقاً مجردة يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية.
- 2- ما دامت الأفعال الكلامية (30) هي أساس النظرية التواصلية، والتي تهدف إلى: (30)
 - أ. عدّ الفعل التواصلية تحويلاً لعلاقة طرفي العملية التواصلية.

احترم عليه، فيهيحُ، ثم يخرجُ جله أو جزء منه بالطريقة المعهودة عند مُنعاطي التبع، ولا بأس بعد ذلك أن يُطلق الدخانُ على التبع على سبيل المجاز ووفق المأل، وهو ما لا ننكره على الخاصة والعامة.

وبعيداً عن التشكيك في قدرة المجامع اللغوية العربية، ومنها مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي نشهد له بالزيادة، على عقد الصلة بين موروث الخلف والسلف من الألفاظ الكفيلة بسدّ النقص المصطلحي الحاصل في لغة العرب في مقابل ما يفد علينا من مصطلحات أجنبية وممارسات تحسب علينا تبعاتها، بعيداً عن كلّ ذلك فإننا نهيب بهذه المجامع أن تداوم التقيب والتتقير في كتب اللغة ومعاجمها بحثاً عن مقابلات موضوعية تغنينا عن اللّهث وراء العديد من الترجمات على النحو الذي حظيت بها كلمة "المئامة" في مقابل كلمة "pyjama(s)" التي عملت بعض المجامع اللغوية جاهدة على ترجمتها دون أن تلقى أيّ من الترجمات المقترحة القبول. (23) والمصطلح في تراث العرب يحمل أسباب انبعائه.

من ذلك لفظ "كمي" الذي نعده وجهاً صالحاً من وجوه المقابلات الموضوعية لما في (عملية التبخين) بمفهومها الحديث، فهو في أصل الوضع "يدل على خفاء شيء من ذلك: كمي فلان الشهادة: إذا كتمها.. ولذلك سمى الشجاع: الكمي. قالوا: هو يتكمي في سلاحه، أي: يتعطي به. يقال: تكمت الفتنة الناس: إذا عشيئهم." (24)

والجدير بالذكر أن عامة أهل المغرب العربي لا زالوا يصرون على الفعل "كمي" في مقابل (دخن) و"المصدر" "الكميان" في مقابل (التدخين)، وكأنه من (باب ما تنكره الخاصة على العامة وليس بمنكر). (25)، فإذا كانت مادة "كمي" ما زالت تحظى بمثل هذا التداول، وقد

26 "الكاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إخفاء وسرّ". ابن فارس: معجم مقاييس اللغة 157/5، مادة (كتم).
27 ينظر في هذا الصدد: عبدالعزيز مطر: لحن العامة في ضوء علم اللغة الحدي، ص 169.
28 أن رويول وجاهك موشلار: التداوية اليوم-علم جديد في التواصل، ص 30-29.

29 ينظر: صحراوي مسعود: التداوية عند علماء العرب، ص 3.
* تقوم هذه النظرية على النظر إلى اللغة على أنها "أداء أعمال مختلفة في أن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحاً ما، أو يأمر، أو ينهي، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر...". وتنتظر نظرية أفعال الكلام إلى اللغة على أنها مخاطبة تعبر عن أفعال حقيقية، فالطلب يعبر عن رغبة في شيء ما، وحكم القاضي يعني الفعل المترتب على هذا الحكم بالسجن أو الإفراج، وعند البيع اللفظي يعني تملك البيت وتملك المال، وقول الرجل كلمة الطلاق لزوجه يعني أنه يقوم بفعل المفارقة، وهكذا هي اللغة عند أوستن تعبر عن مواقف فعلية، لذا سميت عباراتنا اللفظية أفعال الكلام ينظر: محمد محمد بونس علي: مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، ص 34 ومسعود صحراوي: التداوية عند العلماء العرب، ص 148.
30 ينظر: المصدر أن السابقان نفسهما.

23 ينظر: علي القاسمي: مقدمة في علم الترجمة، ص 88-89.
24 ابن فارس معجم مقاييس اللغة، 137/5، مادة (كمي)، وينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 386/4، مادة (كمي).
25 وهو عنوان جعله ابن مكي الصقلي (ت 501هـ) لأحد أبواب كتابه، حاول فيه إنصاف العالمة فيما ذهبوا إليه. ينظر: ابن مكي الصقلي: تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص 186-193.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- آل ياسين محمد حسين: **والدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط1، مكتبة الحياة، بيروت، 1980 م.**
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.**
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.**
- ابن هشام أبو محمد عبدالله جمال الدين: **شرح جمل الزجاجي. دراسة تحقيق علي محسن عيسى مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405 هـ - 1985م.**
- ابن مكي الصقلي: **أبو حفص عمر بن خلف: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبدالقادر عطّاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1410 هـ - 1990م.**
- أرمينكو فرانسوا: **المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت.**
- أنيس إبراهيم: **اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر، 1970م.**
- أنيس إبراهيم ومنتصر عبدالحليم والصالحي عطية، وأحمد محمد خاف الله: **المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.**
- أوستين ج ل: **أفعال الكلام العامة كيف تنجز الأشياء بالكلام؟ ترجمة عبد الفتاح قنيني، أفريقيا الشرق، 1991م.**
- أوكان عمر: **اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2001م.**
- بكر السيد يعقوب: **نصوص في فقه اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971م.**
- بيوض إنعام: **الأساليب التقنية للترجمة، دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة من منظور الأسلوبية المقارنة لـ "فيني وداربلني، وتطبيقاتها على الترجمة الأدبية في ترجمات كتاب "النبى" لجبران خليل جبران، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في جامعة الجزائر، تحت إشراف الدكتور حمدان حجاجي، سنة 1992م.**
- الجواليقي أبو منصور: **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاعر، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، 1389 هـ - 1969م.**
- خيتي محمود عمر: **التطور الدلالي في الشعر العربي حديثه ومعاصره، رسالة ماجستير،**

ب. عدّ الكلام الوسيلة الوحيدة لوصف الكلام (ملفوظاً أو مكتوباً).

ت. عدّ الفعل التواصلية منتجاً لآثار مختلفة بصورة حتمية.

3- ما دامت حدود فهم الآخر مثلت غاية العملية التواصلية الأساسية في نقل أفكارنا في صورة مطابقة للطرف المستقبل للمنظومة التواصلية، أي أننا نسعى إلى إيفهام المستمع، وبذلك يكون المعنى أساساً في الرسالة الكلامية والعوامل المرافقة لها، من كون التأثيرات المتبادلة بين الأطراف التواصلية تستلزم وجود قانون مشترك يسمح لكل طرف بفهم مقاصد الآخر وتحديد رغباته قصد التكمّن من التفاعل معه (31)

الخلاصة:

يتبين مما سبق أن البعد التداولي في الخطاب الإشهاري له أكثر من دور في التأثير في نفسية السامع أو على الأرجح المشتري، لما يحويه من نوايا وأغراض يريد المرسل أن يوصلها على المتلقي وسيكون على هذا الأخير تقصى مضامينها من خلال التأويلات التي يحسن ربطها بالسياق لأنها تكشف البنية الخفية للكلام. على أنّ مناقشة الخطاب التواصلية من باب هذه النظرية المعرفية (أي التداولية) يجعل النصّ أو العبارة اللغوية على اختلاف أنواعها وحجومها غير قابلة للانعزال عن مرافقاتها الخارجة عن نطاق اللغة، ونقصد بذلك كلّ الوسائط المعرفية نحو المرجع والباتّ والمتلقّي والمقام وملابسات الكلام النفسية والاجتماعية، والمشارب الثقافية، وغيرها.

على أنّه بدون وعي الذات لا يتمّ تفاعل مثمر مع الثقافات الأخرى، فتمايز الذات وجلاء وعيها شرط أساسي للتفاعل مع الآخرين وإغناء الذات و الآخرين معا.

³¹ ينظر: ج ل أوستين: أفعال الكلام العامة، ص 134.

مسعود صجراوي: *التداولية عند علماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية - في التراث اللساني العربي*، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2005م.
 مطر عبد العزيز: *لحن العامة في ضوء علم اللغة الحديث*، ط2 دار المعارف، 1401هـ - 1981م.
 موانان جورج: *علم اللغة والترجمة*، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، مراجعة أحمد فؤاد عفيفي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
 هالين فرناند: *التداولية ترجمة: وُبا محمد، مجلة فكر ونقد، العدد 24.*

المراجع الأجنبية:

Mounin, Georges: *Clefs pour la Sémantique* éditions, Seghers Paris, 1972.
 Lendrevie J, Brochand, B: *Le Publicitor-Daloz*, 5 editions, 2001.
 Le Petit Larousse-Larousse-Paris-Cedex 06, 2003.
 Wills, w: *he science of translation problems and methods*, gunter narr, Verlag ,Tubingen, 1982.
 Yule, George: *Pragmatics*, oxford university press, 1996.

إشراف مازن الوعر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 1986م.
 الداية فايز: *علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق*، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
 روبول أن وموشلار جاك: *التداولية اليوم - علم جديد في التواصل*، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بروت، 2003م.
 السعران محمود: *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
 السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن:
 **الاقتراح في علم أصول النحو*، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1976.
 **المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، شرح و تعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجبل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
 عدنان ذيل، عدنان: *اللغة والدلالة، آراء ونظريات*، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 1981م.
 علي محمد محمد يونس:
 **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب*، دار الكتاب الجديد، بيروت.
 **علم التخاطب الإسلامي*، دار الكتاب الجديد، بيروت.
 الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
القاموس المحيط، دار الجبل، بيروت، لبنان.
 قدور أحمد: *مبادئ اللسانيات*، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1416 هـ - 1996 م.